

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

كلية أصول الدين  
قسم العقيدة ومقارنة الأديان



جامعة الأمير عبد القادر  
للعلوم الإسلامية  
قسنطينة

# محاضرات مادة الاستشراق المعاصر

الدكتورة: آسيا شكيرب

- ✓ تطور الدراسات الاستشراقية قبل المرحلة الاستعمارية
- ✓ جدل الاستشراق والاستعمار والنظريات التفوقية والعرقية.
- ✓ المنهج الاستدلالي لدى المستشرقين في الدراسات الإسلامية
- ✓ موقف المستشرقين من الوحي ومن السنة النبوية.

## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

### المحاضرة الأولى:

#### تطور الدراسات الاستشراقية قبل المرحلة الاستعمارية

نادى الانجليزي جون ويكلف Wy Cliffe (نحو 1320-1384) إلى ضرورة إصلاح الكنيسة من الداخل كشرط لازم وأكد للتغلب على الإسلام وتمهيد ذوبانه وزواله؛ وقد كان تدهور اهتمام أوروبا بالعرب وبيدانتهم إبان أواخر القرون الوسطى كان مؤشرا لتبنيها خلال عصر النهضة موقف التنكر لهم ولدورهم التقليدي في نقل القوات اليوناني الكلاسيكي، فالعرب لم يعودوا في إدراك مثقفي هذا العصر يحتلون المعبر الضروري إلى فلسفة الإغريق وعلومهم لا سيما بعد أن تمكن أولئك المثقفون من الرجوع إلى النصوص الأصلية المتوفرة والطعن في صحة الترجمات العربية، باستثناء الإبقاء على استلهم الشرق الإسلامي في الأعمال الأدبية، فإن ما يتسم به القرن السادس عشر الأوروبي هو موقف اللامبالاة، إن لم نقل التنقيص بإزاء الإسلام وعطاءات العرب الخصوصية، وقد يرجع سبب هذا الموقف إلى سقوط غرناطة سنة 1492 وما نتج عنه من أقوال صورة العرب، وتضائل استعمال لفظ "سارزان" واستبدالها بصورة التركي التي أصبحت مرادفة لماهية الإسلام.

إلا أنّ النزعة الإنسانية التي طورها عصر النهضة قد أتاحت خصوصا منذ منتصف القرن السادس عشر لبعض المتعطين للثقافة الشمولية (التي لا علاقة لها بالتبشير استعادة الاهتمام بالدراسات الإسلامية هذه الدراسات التي خصص لها في ذلك الوقت كرسيا في كوليغ دي فرانس سنة 1539، وقد كان من أبرز من أولئك المهتمين إضافة إلى من ظهر منهم في هولندا وألمانيا والنمسا، موسوعيان فرنسيان هما جيوم برستيل G.Postel (1510-1581) وهو أول من أسند له الكرسي المذكور، ثم تلميذه يوسف سكاليجر (J.Scaliger) (1540-1609)، وقام توماس إينيوس فان الهولندي (1584-1623م) بنشر أول أجمومية عربية.

كما أن العناية بأعمال ابن سينا الطبية خاصة قد عرفت انتعاشا ملحوظا في أواخر نفس القرن، وكذلك بالمؤلفات العربية في الرياضات والجغرافيا، وذلك بواسطة طبعها بحروف الضاد من طرف مطبعة فردينان دي ميديتشي سنة 1582.

أما القرن 17 فقد عرف عودة الاهتمام الأوروبي بالشرق الإسلامي ليس في الإبداع فحسب مع مسرح مولير وكانونان وراسين وإلى حد ما شكسبير، وإنما أيضا على صعيد المشاريع المعرفية المتخصصة المستجيبة من جهة لظهور الدول المركزية القوية في أوروبا ولحاجيات نموها الاقتصادي، والمرتبطة من جهة أخرى بالتهديد الإسلامي المتمثل في الإمبراطورية العثمانية على وجه التحديد.

## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

وقد ظهرت على غرار كوليغ دي فرانسى كراسى الدراسات الشرقىة والتركىة فى جامعات كل من لىد وروما وأكسفورد.

وعموما فإنّ ما اتسم به القرن السابع عشر، وخصوصا فى نصفه الثانى المعلن عن عقلية عنصر الأنوار، هو تضائل الهوس التبشبرى الذى يفسره يقينا اقتناع المثقفىن والعلماء بالنسبىة العقائدىة والمذهبىة وبجىث الحورب بىن الديانات.

وقد استطاع برتيلمى هربلو B.ol'herbelot (1625-1695) أن يجر عملهُ الموسوعى الخزانة الشرقىة، وقام جالان A.Golland (1646-1717) بترجمة كتاب ألف لىلة ولىلة التى أذاعت عن الشرق صورا عجائبىة مشوقة لا زال مفعولها يسرى إلى عصرنا هذا.

فى عصر الأنوار، وهو العصر الموسوم عموما بالعلمانىة والعقلانىة ومعاداة الكنيسة المسىحىة (التعننىة) ظهرت محاولات مفكرىن وفلاسفة ذهبت إلى رد الاعتبار إلى الإسلام، ومنهم من خص الإسلام بموقف الإعجاب الذى صور الإسلام كدىن قائم على العقل والتسامح وعدم الإكراه، وكلها صفات يلخصها مفهوم Deisne الذى كان من المفاهىم التى تصدرت إىدىولوجىا الأنوار فى فرنسا وAnf klärung فى ألمانيا.

وىفسر بعض المؤرخىن هذا التوجه إلى كون تركيا تحولت إبان هذا العهد إلى ملجأ للأقلىيات الدينىة المضطهدة من طرف المسىحىة الكاثولكىة، وقد ظهر ذلك التوجه فى أواخر القرن السادس عشر وبداىة القرن الثامن عشر مع الفرنسىىن رىشارد سىمون مقارنة الأديان، وبيير باىل ومع المستشرق الهولندى أدريان رىلان وقد ساء أيضا هذا التوجه عند بعض المتخصصىن فى ترجمة معاش القرآن وتارىخ الإسلام والأدب العربى، كما هو الشأن عند الانجلىز جورج سال (1697-1736) وسىمون أوكلى S.Okley (1678-1720) وعند الألماني جاكوب رىسك (1716-1774) أو عند الفرنسى أدوارد جىبون E.Gibbon (1737-1794).

أما الصورة الجدىدة ففحوها تفوق الشرق الحضارى على الغرب المسىحى وأن النبى محمد مشرع متسامح وحكىم، أما الانتقادات الحادة التى على رأسها التعصب والاستبداد، أصبحت تفسر بعوامل تلىتها كالعوامل الجغرافىة والبيئة وما إليها كما هو بىن عند مونتسكىو مثلا.

وقد ظهرت فى تلك الفترة، دراسات نقدىة يرأسها جورج سبل (1697-1736)، الذى ترجم معانى القرآن الكرىم ترجمة متقدمة، وما أتى بعدها يعدّ عالية عليها، وقدّم لها بمقدمة ملئىة بالإفك واللغو والتجريح<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> صدرت سنة 1734، قال فى مقدمة الترجمة " أما أن محمدا كان فى الحقىة مؤلف القرآن والمخترع الرئسى له فأمر لا يقبل الجدل، وإن كان المرجح -مع ذلك- أن معاونة التى حصل عليها من غيره فى خطته لم تكن يسيرة، وهذا واضح فى أن مواطنه لم يتركوا الاعتراض عليه

## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

فولتير (1694-1778)، درس فولتير الإسلام عن كتب خصوصا الإسلام كدين نجد أنه في المرحلة الأولى في كتابة محمد والتعصب، كان حكمه على الإسلام حكما عدائيا وفي المرحلة التالية في كتابه دراسة عن الأخلاق (*Essai sur les moeurs*) أصبحت اللهجة أكثر جدية وهدوءا، لكن الحكم بقي قاسيا في عمومته، وقد اختار في كتابه الأول الإسلام كرمز للتعصب واللاإنسانية ولإرادة القوة، ويرى بورمان دانيال أنه ليس الحكم المسبق القروسطي هو الذي يبرز هنا، إنما إعادة تقييم جديدة للإسلام كقوة دينية وفي اتجاهه العام.

وقد حاول فولتير تحليل العناصر التي تدخل في تركيب الإسلام وهذا من منظور تاريخ الأديان، وقد توصل إلى التفريق بين المساهمة النبوية البحتة وبين التطور اللاحق للنظام الديني، ومحمد عنده ذلك الشخص الذي استفاد من بساطة من حوله وفرض رسالته بالقوة.

إلا أن الإسلام قد تطور باتجاه التسامح، واقترب في تسامحه الجنسي مما يشبه نظاما دينيا طبيعيا، المسيح طيب لكن المسيحيين أصبحوا غير متسامحين، بينما المسلمون متسامحون رغم النبي السيء، إنه تطور تعيس في الحالة الأولى وسعيد في الحالة الثانية.

إن ما يميز القرن (15-18) الثامن عشر في إسهامه حول موضوع الإسلام، أنه بالإضافة إلى أحكامه حول النواة الدينية والنبوية، نلاحظ اهتماما لديه بالحالة الحاضرة للمجتمع الإسلامي، وبحثنا في أسباب الخطا، هذا الانحطاط يرى كضعف حضاري وسياسي بالرغم من أن الإمبراطورية العثمانية كانت لا تزال قوية، وتبرز عند مونتسكيو وعند فولتير وقولني، الفكرة التي تقول إن الحالة المتأخرة للمجتمع الإسلامي سببها ضعف حكومته، أي ضعف مؤسساته السياسية وخاصة بنيته الدينية.

يقول فولتير «إن هذه المجتمعات يمكن أن تنهض بمفعول استعداد عميق لكل الناس من أجل الوصول إلى وضع ومصير أفضل، وإلى مستوى ثقافي أكثر ارتفاعا»، إذا ما نجحت في تكوين حكومات أفضل، وقوانين أشد عقلانية وتوازنا.

أما قولني: فقد قام برحلة طويلة إلى الشرق وكتب عنها كتابه "وصف مصر وسوريا" ثم كتابه "الآثار" وفي هذا المؤلف نجد بعض النظرات العامة عن الإسلام وعن مؤسسه، فكرة العنف مثلا موجودة فيه يقول: «لقد أمكن لمحمد أن يكون إمبراطورية سياسية ودينية على حساب موسى والمسيح»، وفي أحد المقاطع يجعل إماما يتكلم عن "شريعة محمد" فيقول: «إن الله جعل محمدا وزيرا على الأرض، وأعطاه العالم ليخضع بالسيف كل من يرفض الاقتناع بشريعته»، أما القرآن عنده فهو «نسيج من الخطب المتناقضة والغامضة والإرشادات المضحكة والخطيرة»، ومع اعترافه

بذلك"، وقد صادفت مقدمته هذه نجاحا كبيرا في أوروبا، الأمر الذي جعل المستشرق كاسميرسكي أن يجعل من مقدمة سيل، مقدمة لترجمته الفرنسية لمعاني القرآن الكريم التي صدرت عام 1841م.

## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

بما تحويه النصرانية من جزء لا عقلاني، فإن المؤلف لا يفوته أن يقارن هذه المسيحية «بأخلاقها الناعمة وانفعالاتها الرومانية» أما إسلام فيحتقر العلم ويشير الجشع ويهدد الجبناء بالنار ويعد الشجعان بالجنة، باختصار إنه ذو أخلاق قاسية تحمل سمة بربرية الأصلية، تلك البربرية التي عوضا عن أن تتطور كما هي أن تفعل صاف وخارج عن نظام القيم نمت كنظام ديني وفعل إلهي.

ملخص المحاضرة:

ق15-16:

✓ دهور اهتمام أوروبا بالعرب إبان أواخر القرون الوسطى.

✓ قدرة ذاتية على العودة للتراث اليوناني والنصوص الأصلية، باستثناء الأعمال الأدبية.

القرن 16:

اللامبالاة: أسباب هذا الموقف.

✓ أقول صورة العرب بالمقابل أصبحت كلمة تركي مرادفة لماهية الإسلام.

في منتصف ق16.

✓ أتاحت النزعة الإنسية التي طورها عصر النهضة استعادة الاهتمام بالدراسات الإسلامية.

✓ خصص لها كورسيها في كوليغ دي فرانس 1539.

✓ جيوم برستيل أسند له الكرسي المذكور (موسوعي)

✓ يوسف سكاليجر أيضا (موسوعي)

✓ ظهور أول مطبعة باللغة العربية سنة 1582 وطباعة اعمال قيمة.

ق17:

العودة للاهتمام بالشرق الإسلامي.

عصر التخصص:

✓ في الإبداع الأدبي.

✓ على صعيد المشاريع المعرفية المتخصصة.

# الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

## المحاضرة الثاني:

### جدل الاستشراق والاستعمار والنظريات التفوقية والعرقية.

أمام الانقلاب الصناعي الذي أحدث ثورة علمية في عالم الآلة والصناعة كانت حاجة الدول الأوروبية ملحة لخبرة خبراء الشرق –المستشرقون- فتدخل هؤلاء بكل ثقلهم، وتدخلت قوتهم وسلطتهم المعرفية ، فأصبح الانقلاب ليس صناعيا، بل مركبا حضاريا متكاملا، علميا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وتكنولوجيا، وأصبح الاستشراق العملة الأكثر تداولاً ورواجاً بين الغرب والشرق، وقد تجند لمعرفة الشرق نفسيا وفكريا وسلوكيا قبل معرفة ثرواته وموارده، ولإنجاز هذه المهمة جندت المعاهد والجامعات والمؤسسات العلمية للقيام بهذا الدور ومنذ سنة 1850 تطور الاستشراق ولم يخضع للرغبات والهوايات وأصبح لكل جامعة رئيسية في أوروبا منهج متكامل لفروع الدراسات الشرقية وأصبح المستشرق معنيا أكثر بالتدريب الجامعي في الدراسات الاستشراقية وأصبحت الجمعيات والوكالات والمؤسسات والحكومات ترعى الاستشراق وتسيره وتشرف على شؤونه.

لم ينته القرن 19م حتى كانت كل أجزاء العالم الإسلامي تقريبا في آسيا وأفريقيا قد سقطت في براكن الاستعمار الغربي بوجه عام، الاستعمار البريطاني الفرنسي بوجه خاص.

وخلال نفس الفترة تطور الاستشراق في الغرب تطورا يتناسب مع التوسع الاستعماري فأصبح بالتدرج مؤسسة ضخمة بل شركة ضخمة من المؤسسات الأكاديمية (المثلة في الجامعات والمعاهد الجمعيات الاستشراقية والجغرافية والدوريات ودور النشر) المتفاوتة فكريا وثقافيا مع الاستعمار.

وقد شاركت بريطانيا فرنسا اقتسام الأراضي والثروات والحكم والاستشراق:

- المشاركة في جمع وتبادل لمعلومات عن الإسلام والمسلمين.

- المشاركة في الدراسات الاستشراقية بمناهج وأفكار ومقاييس ومفاهيم ومصطلحات مشتركة يقوم بها المسلمون

والإسلام.

استنزاف الثروات المادية والعلمية والحضارية: فقد سرق المستشرقون المخطوطات والوثائق والكتب النادرة ونقلوها إلى لندن وباريس وقد استفادوا من المخطوطات خاصة في الدراسات المقارنة للغات والأديان وقد عكفوا على دراسة المخطوطات خاصة الدراسات المقارنة للغات والأديان وقد عكفوا على دراسة المخطوطات فاستخرجوا منها ما كان عوناً لهم على تكوين صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين، وقد استغلوا المخطوطات في كتابة التقارير التي تعين الحكومات العربية على صنع القرار السياسي اتجاه العالم الإسلامي، وقد وجدوا لهم في تلك المخطوطات مبررات السيطرة على المسلمين. وكلما توسع الاستعمار كلما زادت حاجته إلى الاستشراق كمؤسسة تابعة له تسانده في إدارة

## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

الشرق الإسلامي وتسهل له اخضاعه.

يشير المستشرق الهولندي "سنرك هوجرنه" إلى ضرورة الاستشراق للاستعمار فيقول: "إن الشريعة الإسلامية موضوع مهم للدراسات الاستشراقية، ليس فقط لأسباب تجريدية (نظرية) متعلقة بتاريخ القانون والحضارة والدين، ولكن كذلك لأهداف علمية، وذلك أنه كلما توثقت العلاقات بين أوروبا والشرق الإسلامي، كلما زاد عدد البلاد الإسلامية التي تقع تحت السيادة الأوروبية كلما زادت الأهمية بالنسبة لنا نحن الأوروبيون لتتعرف على الحياة الفكرية، وعلى الشريعة، وعلى خلفية المفاهيم الإسلامية.

### الجانب الواقعي: أمثلة وغمادج:

- مهدت فرنسا لاحتلال الجزائر سنة 1830م بفترة دراسات سبقت ذلك الاحتلال بنحو عشرين عاما، تحولت فيها من مجرد دراسة حفريات وآثار العالم ..... قديم (الحضارة الرومانية) إلى دراسة عقلانية منظمة.

- طور نابليون في حملته على مصر سنة 1798م فكرة "علماء الحملة" في حملته على مصر إلى "العلماء الحملة" على يد المستشرق الفرنسي "سليستر دي ساسي"، فأصبحت فرنسا رائدة الاستشراق في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

سبق الاحتلال البريطاني لمصر وغيرها من أجزاء العالم الإسلامي دراسات استشراقية قام بها المستشرقون البريطانيون أمثال إدوارد لين ووليام جونز وغيرهما.

أما أمريكا فقد اعتمدت أيضا على الدراسات الاستشراقية وعلى مؤسساتها في الجامعات، وأيضا على الحكومة والشركات ووسائل الإعلام المختلفة؛ وقد تعاونت مع المستشرقين البريطانيين والفرنسيين واستفادت من خبراتهم وبصفة خاصة المستشرق البريطاني جب هاملتون الذي تم تعيينه في منتصف الخمسينات مدير مركز هارفارد لدراسات الشرق الأوسط، وقد طبقت أمريكا أفكاره في أرض الواقع، واستفادت من أسلوبه في صنع القرار في الدوائر الحكومية الأمريكية، وقد خلفه في إدارة هذا المركز المستشرق اليهودي "ناداف سقران".

ويمكن القول أن الاستشراق في أمريكا وأوروبا قد توسع منذ بداية القرن التاسع عشر حتى الآن، وتعددت مؤسساته، كالجمعيات الاستشراقية والجغرافية، بالإضافة إلى الجامعات والمعاهد والدوريات التي تصدر بانتظام.

### الاستشراق والنزعة التفوقية والعرقية في الحقبة الاستعمارية:

حاول الاستشراق إيجاد مبررات للسطو الاستعماري على أراضي ومقدرات الشعوب الأخرى؛ وهذا من خلال إبراز تفوق الغرب على الشرق في كل ميادين الحياة حيث كان اتجاههم نحو العالم الذي يبحثون فيه متأثرا بتربيتهم حيث تشربت نفوسهم نظريتها التفوقية فبنوا على أسسها رؤيتهم الخاصة إزاء العالم الذي كانوا يستهدفون التعرف

## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

عليه حتى أرجعوا نجاح الأمم الأوروبية إلى الدين المسيحي، وتخلف المسلمين إلى الإسلام.

فالمسيحية بحكم طبيعتها تساعد على التقدم والإسلام يؤدي بحسب طبيعته إلى التخلف والاكود وترددت حجج القرون الوسطى مع بعض الزينات المستحدثة عند كل من (رينان، كروم، دوماس، هانوتو، لامنس، وزويمر (...).

ومن العجب أن العلوم الإنسانية ازدهرت في ذلك الوقت كالاقتصاد والنفس والسلالات والفلسفة والاقتصاد...، ولم تؤثر في تغيير هؤلاء وأمثالهم مما يؤكد أن الأغلبية الغالبة منهم لك تكن على دراية كاملة بشأن العلوم.

يرى الغرب أن حضارتهم أرقى الحضارات لأنها استفادت من كل ما قبلها من حضارات وتجنبت عيوبها، والواقع أن الحضارة إنما تأتي لتقدم للإنسان نوعاً جديداً من الأشياء يكون في حاجة إليها.

ومن هنا ظهر الاعتقاد في أوساط الاستشراق العلمية "بأن المذهب العقلي، والفردية واحترام القانون والحرية والروح المنفصلة... في امتيازاتها خاصة بالعرب وأدى ذلك إلى فكرة أن الشرق صوفي وتأملي وعبد الدين ويتعلق بالآخرة ويهمل العوامل المادية، هذه الفكرة على اختلاف طبيعة الشرق والغرب منعت أية محاولة للإبداع أو استخدام أية مقولات تاريخية مشتركة أو ترتيبات يمكن أن تنطبق عليها، ويبدو هذا أشد وضوحاً إذ وافق ذروة تسلط أوروبا وسيطرتها على بقية العالم خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

### التمحور حول الذات (الترجسية الغربية):

لهذا الملمح جذوره في الفكر الأوروبي منذ عصر النهضة، حيث كان التركيز على الفردية وتأكيد الذات، ومنذ أن قال ديكارت: "أنا أفكر أنا موجود" كان الإلحاح على الأنا والفرد الذي يشعر بوحدانيته وجبروته، وتحول مركز الكون من الله إلى الإنسان في تكوين الوعي الأوروبي الحديث.

فالغرب هو محور الدنيا كلها والعالم كله والآخرين أطراف للمركز ومن هنا كانت الهيمنة الأوروبية والاستعلاء الأوروبي، فالتاريخ عندهم يبدأ من أوروبا والعصور الإنسانية تبدأ في أوروبا.

وهم ينكرون انجازات الحضارات الأخرى، أو يلحقونها بالتاريخ الأوروبي حتى أن زخارف المساجد في الحضارة الإسلامية عندهم ذات أصول أفلاطونية.

لهذا أجاز الغرب لنفسه تقويم الآخر من خلال أنه وتاريخه الخاص وغاياته ومعاييره الخاصة.

- بلغت هذه النظرة الاستعلائية حداً تجاهلت فيه كل قيمة إنسانية للآخرين.



## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

والحقيقة أن المراكز الأوروبية لا ترجع كما يقول "روجيه غارودي" إلى التفوق الإنسان الغربي نفسه، بل إلى استخدام تقنيات السلاح والبحر لأهداف عسكرية وعدوانية، ولم يكن الإنسان الأوروبي إنسانا (سوبرمان) حقا، ولا يملك قوى خارقة تؤهله لأن يكون سيد هذا الكوكب بثقافة، ولكن باستخدامه لوسائل وطرق في التعامل غير إنسانية.

# الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

## محاضرة الثالثة:

### المنهج الاستدلالي لدى المستشرقين في الدراسات الإسلامية

وقع المستشرقون في أخطاء منهجية كثيرة تمثلت في اتجاهين:

**الأول:** خطاهم المنهجي في اختيار مصادر الاستدلال.

**الثاني:** خطاهم المنهجي في طبيعة الاستدلال.

• أسس اختيار مصادر منهج المستشرقين الاستدلالي :

#### 1- مصادر استسقاء الدليل :

فقد صرفوا المصادر عن طبيعتها و طوعوها لمفهومهم و جردوها من خصائصها و سماتها " فقد رأوا أن إنشاء الدليل على صحة آرائهم و تصوراتهم المطروحة حول قضايا الإسلام لا يتأتى إلا بوضع هذه المصادر الإسلامية في منظور إستشراقي خاص بها ، و هذا في حد ذاته إفلاس للمستشرقين "(1)

و قد ارتكزوا على الركائز المنهجية التالية في اختيار مصادر الدليل

- نظرهم على القرآن الكريم على أنه كتاب تاريخ

من الأخطاء المنهجية الكبرى في ميدان البحث العلمي الاستشراقي، النظر إلى القرآن الكريم نظرة تغاير طبيعته وتتجافى مع روحه الدينية وتقلل من أهميته ككتاب إلهي يرسي قواعد الاعتقاد الصحيح والتشريع القويم، فالمستشرقون ينظرون إليه على أنه كتاب تاريخ يؤرخ لأحداث معينة.

ومن هؤلاء فرانك فوستر الذي نظر إلى القرآن الكريم من خلال منظوره الخاص لطبيعة مصادر الدليل على أنه كتاب تاريخي، فاحتكم إليه وحده فيما يتعلق بالسيرة الذاتية لرسول الله -صلى الله عليه وسلم - مدعياً أن الاعتماد على غيره من المصادر غير جائز علمياً و هذا لأن المصادر الأخرى لم تكتب في حياته -صلى الله عليه وسلم-.

## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

يقول فوستر: "إن الكتابة الوحيدة التي وصلتنا من محمد في تاريخ حياته هي ما جمع منها في القرآن الكريم و هي إن كانت غير مستوعبة لجميع ما تجب معرفته عنه فقد جمعت الكثير من حوادثه. والقرآن هو المصدر الوحيد الذي يصح الاعتماد عليه فيما نحن يصدهه أما التواريخ العديدة التي كتبت بأقلام كتاب متحيزين فليس لها قيمة في نظرنا"<sup>(2)</sup>

- خطورة هذا المنهج الاستدلالي في البحث العلمي.
- 1- التحكم في اتجاهات البحث وتطويره لخدمة أهداف معينة.
- 2- هذا المنهج خاطئ فهو يفرض على المستشرق أن يستنطق القرآن الكريم بتفصيلات في مجال التاريخ بعيدة كل البعد عن طبيعته، و ليست موضع اهتمامه ولا غرضاً من أغراضه وما ذكر في القرآن جاء لتصحيح مسار تاريخ الاعتقاد الصحيح .
- 3- القرآن لا توجد فيه تفاسير سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.<sup>(3)</sup>
- 2- اعتماد مادة الإستشراق مصدراً من مصادر الاستدلال.

إن المصادر الأصلية لقضية ما، واستسقاء الأدلة منها هي التي تعكس بصورة قوية صدق الرؤى والتصورات، وتوصل صلة الأفكار بوسطها المنتسبة إليه وتجلي انتمائها إليه وتقويه واعتماد مادة مصدراً من مصادر الدليل دون المصادر الأصلية أو تغييبها وجعلها ركيزة مصدرية هذا من شأنه أن يضيف على القضايا ألواناً من الأفكار وهالات من الغموض.

و لا شك أن هذا المنهج في اختيار مصادر الأدلة و مادتها سيفقد البحث العلمي قيمته العلمية و يطعن في قيمته المنهجية، وتقتضي منهجية اختيار مصادر الأدلة ومادتها وانتقائها أن يعتمد الباحث على الكتب الأصلية المتمخضة من الوسط الذي تنتمي إليه القضية المثارة للبحث.

فإذا نظرنا إلى البحوث الاستشراقية نظرة فاحصة سوف يبدو لنا أنها تعتمد في الأعم الأغلب على مصادر الاستشراق، وتعتبرها مادة أصلية من مصادر الاستدلال في الوقت الذي تغفل فيه المصادر الإسلامية أو تجعلها أقل حظاً من المصادر الاستشراقية.

ونستطيع أن نقف على هذا بمراجعة قوائم المصادر و المراجع التي يعتمد عليها المستشرقون في بحوثهم :

## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

فمثلا إذا ما رجعنا لكتاب السيادة العربية و الشيعة و الإسرائيليات في عهد بني امية للمستشرق فان فلوتن<sup>(4)</sup> نجد أنه قد اعتمد على " ثمانين مرجعا تقريبا كان من بينها أربعون مرجعا ألفها المستشرقون، إلى جانب أن المؤلفات الإسلامية المترجمة إلى اللغات الأخرى لها مقدمات و شروح و تعليقات من المستشرقين، على أننا لا نركز عليها في الإحصاء، هذا على أننا أهملنا كثيرا من الإشارات إلى أقوال المستشرقين التي ليس لها مرجع، و التي جاءت مرسله في الكتاب ( مثار النقد ) فماذا نتظر إذن من مؤلف كانت مؤلفات الاستشراق على النصف من مراجعه !! " <sup>(5)</sup>

وعندما نرجع إلى قائمة مراجع مؤلف ( العقيدة و الشريعة في الإسلام لجولد تسيهر سنجد الكم الهائل والضخم من المراجع الاستشراقية تفوق المراجع الإسلامية الأصيلة !!

وكذا قائمة - مراجع مؤلف الإسلام و المسيحية للمستشرق : أليكسي جورافسكي والتي طغت فيها المصادر الاستشراقية على مصادر البحث أكثر من المؤلف السابق !!

وقوائم مراجع مؤلفات أخرى منها الماضي المشترك بين العرب و الغرب. أ. ل رانيل<sup>(6)</sup>. و غيرها كثير تستطيع أن تلمس فيها هذا الخطأ المنهجي في اختيار مصادر الدليل في بحث قضايا متعلقة بالإسلام و ستجدها حقيقة.

إن جعل مادة الاستشراق والتي يمكن وصفها بالمادة (المضادة) للمادة الإسلامية أساسا لتكوين فكرة تعتمد في الوسط الاستشراقي عن الإسلام و تكون فيما بعد مرتكزا من مرتكزات الفكر الاستشراقي، تعني أن هذه المؤلفات -عن الإسلام- ليست إلا ترديدا لهذا الفكر و ترويجا له في الأوساط المختلفة لتأصيل مواقف المستشرقين الفكرية بل والإيديولوجية من الإسلام وعلى هذا فإن هذه الصور تكون مكررة ومرتكرة في بؤرة الشعور الاستشراقي ( العقل الواعي) و اللاشعور (اللاوعي) ومن الصعب محوها من الذاكرة الاستشراقية<sup>(6)</sup>

يمكن القول أن اعتماد المستشرقين على المراجع الأصلية سيحول دون تحقيق أهدافهم، لأنهم لا يجدون فيها طلبهم مما يكون له أثره المباشر على الدراسات الاستشراقية.

### 3- التحكم في مصادر الاستدلال :

## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

إن المنهجية الصحيحة في الاستدلال في مجال البحث العلمي تقتضي تحديد هوية المصادر وخصائصها و اتجاهاتها عند اعتمادها كمصادر أصيلة أو ثانوية في بحث قضية ما ، أو معالجة مشكلة من المشكلات مثلا [ يجب على الباحث في قضية لغوية اختيار المصادر المتخصصة في اللغة، و... ] وهذا المنهج المعتمد في مجال البحث العلمي في الاستدلال هو الذي يضمن للباحث التوصل إلى نتائج موضوعية، بإضافة إلى أنه يعطي للبحث رصانة و قيمة علمية خاصة، حيث يكون بحثا متخصصا دقيقا في مجاله.

وإذا ما نظرنا إلى منهج المستشرقين في الاستدلال فيما يتعلق باختيار مصادر الاستدلال سنجد " أنهم لم يلتزموا بهذه القاعدة في الاختيار و انتقاء و أنهم خالفها إلى غيرها " يقول أبو جريشة " يتحكم المستشرقون في المصادر التي يختارونها إذ ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث النبوي، و من كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه و يصححون ما ينقله الدميري في كتابه الحيوان و يكذبون ما يرويه الإمام مالك في الموطأ " (7)

وقد انتهج المستشرق جولدتسيهر هذا المنهج الخاطئ في اختيار - مصادر الاستدلال في كتابه العقيدة والشريعة، إذ اعتمد - على سبيل المثال - في كتابه عن الفقه الإسلامي<sup>(8)</sup> على مصادر ليست متخصصة، ولا هي قريبة من التخصص، و إنما هي في معظمها مراجع للتاريخ، وليست للتشريع، من هذه المراجع ما يلي:

1- الديانات القومية و الديانات العالمية لأبراهام كونتن.

2- الطبقات لابن سعد

3- الدراسة التاريخية للإسلام لليوني كائتاني

4- فتوح البلدان للبلاذري ، طبعة دى غويه.

5- مذكرة فتح سوريا

6- تاريخ الطبري

7- مجلة المستشرقين الألمانية

8- خمس سنوات بدمشق بورتر

9- نصح البلاغة

10- الروح لابن القيم الجوزية

11- الحيوان للجاحظ

## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

12- حياة الحيوان الكبرى للدميري

13- دراسات عن حكم الخليفة الأموي معاوية الأول للأب لامانس

14- الأغاني للأصفهاني

بالإضافة على المراجع الأخرى المتخصصة، ولعل ظهور هذه المراجع بصورة طاغية يرجع إلى أن انتقاء مصادر الاستدلال لا يخضع لمقياس تخصص دقيق، وإنما على انتقاء يخدم توجهات معينة في البحث تنأى عن طبيعة البحث العلمي الجاد والنزيه، كما أن اعتمادهم على الكتب المتخصصة قد لا يسعفهم في تأييد مزاعمهم، وخدمة أهدافهم. وهكذا يتضح خطأ المنهج الاستدلالي لدى المستشرقين في اختيار مصادر الأدلة والمادة العلمية في ميدان البحث العلمي فيما يتعلق بقضايا الإسلام.

### 4- الاعتماد على المصادر المذهبية الغالية:

يعتمد الكثير من المستشرقين في بحث مصادر الاستدلال على المصادر المذهبية الغالية، ومن أهمها المذهب الشيعي باعتباره مذهباً يمثل تغلغلاً ثقافياً لبعض الأفكار والمبادئ الفلسفية اليهودية فيما يتعلق بمسائل الغيبة والرجعة والوصية، بالإضافة إلى أنه يمثل لونا من ألوان التناقض مع مذهب السنة.

وقد كان الفكر الشيعي يمثل وسيلة اختراق قوية للمستشرقين للفكر الإسلامي، إذ وجدوا فيه ما يروقهم ووجدوا فيه موضوعاً للدرس والاختلاف والافتراء على الإسلام ودعواته فترجموا كتبه "إلى عدة لغات أوروبية، وجعلوها مصادر رئيسية لبحوثهم ودراساتهم عن الإسلام وصدروها على أنها مصادر مهمة في الإسلام وقدموا الإسلام في كثير من الأحيان من خلالها.<sup>(9)</sup>

وهكذا اعتمد المستشرقون على هذه الكيزة في منهجهم في بحث مصادر الدليل واتخاذها سنداً لترويج الفكر الغالي والمنحرف في الوسطين الغربي والإسلامي.

### • خصائص منهج المستشرقين الاستدلالي:

إن للدليل أهميته الكبيرة في البحث العلمي، فقوة البحث تقاس بقوة الاستدلال، وقيمتها وصدق النتائج تتوقف على صدق الأدلة وموضوعيتها وتتوقف على موضوعيته.

## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

وإذا ما أخضعنا المنهج الاستدلالي لدى المستشرقين للمنظار النقدي والنظر العقلي السليم سوف نجد انحرافا كبيرا في بنية الدليل وطبيعة الاستدلال وخصائصه، مما قد يفقد عملية الاستدلال قيمتها ويجعلها لا تصمد أمام النقد.

وقد تعمد المستشرقون إحداث اضطراب في المنهج وإحداث قواعد جديدة طبقا لوجهات نظرهم في الدراسات الإسلامية، وفيما يتعلق بمنهجية الاستدلال فهي تخالف القواعد المنهجية العلمية المتعارف عليها في الأوساط العلمية. وقد كثر وقوع المستشرقين في مثل تلك الأخطاء لدرجة أن جعلوها ركائز منهجية في الاستدلال في الوسط الإستشراقي، ويمكن تلخيص تلك الأخطاء فيما يلي:

1- انتحال الدليل 2- افتراض الأدلة 3- تحطيم قيود الدليل لتعميم الحكم 4- انتزاع الدليل من المخيلة 5- تصيد الروايات الضعيفة والشاذة 6- إغفال الدليل 7- تجاهل الحقائق عند إنشاء الدليل 8- إنشاء الدليل لتأييد أحكام مسبقة 9- استيقاء الدليل من الواقع العملي لا من المصدر 10- انتزاع الأدلة من الوسط المغاير 11- الاستنتاج الخاطيء من الأدلة 12- تحكيم النزعة التجريبية في الاستدلال 13- إخضاع الاستدلال للدراسات النفسية 14- تجريد القرآن الكريم من صبغته الدينية وصبغه بالفلكلور.<sup>(10)</sup>

### 1- انتحال الدليل:

إن المنهجية العلمية فيما يتعلق بقضية الاستدلال توجب على الباحث التحقق من نسبة الدليل إلى مصدره، والتأكد من نسبة القول إلى قائله، خاصة إذا كان القائل رجل غير عادي كأن يكون نبيا. فالقائل ينسب إليه ما تضمنه الدليل من مفاهيم وأحكام، حتى لا يتسنى لأحد نفي هذه الأحكام عنه أو ينسب إليه ما صدر عن غيره.

فلا بد من التوثيق بالإثبات أو النفي، وأما إذا كان التوثيق ضعيفا وغير دقيق ترتب عليه نفي الحكم عما ينسب إليه، ووجب التأكد على نحو دقيق من قائله الحقيقي، ولا يجب الاعتداد به في ميدان البحث العلمي لأنه صار مبتور النسبة غير موثوق فيه.<sup>(11)</sup>

## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

وإذا نظرنا إلى الدراسات الإستشراقية نجد أنها قد اعتمدت في منهجها الاستدلالي في بعض الأحيان على انتحال الدليل، والدافع إلى هذا أن المستشرقين قد عجزوا بالفعل عن إنشاء أدلة صحيحة مسؤولة تؤيدهم في دعواهم وتدعم رؤاهم.

وقد أدى اعتماد هذا الدليل الخاطئ إلى الوقوع في أخطاء علمية فادحة مما جعل الفكر

الإستشراقي في مأزق في ميزان البحث العلمي والنزبه والجداد وجعله مثارا للشك ومبعثا للارتباب.

ومن أمثلة ذلك التي توضح وقوع المستشرقين في هذا الخطأ الاستدلالي ما يلي:

1- نسبة بعضهم مقولة ( اختلاف أمتي رحمة ) إلى الرسول -ص- وهي مقولة لعمر بن عبد

العزیز، وقد قال في اختلاف الصحابة في اجتهادهم: " ما يسرني باختلافهم حمر النعم، ولو كان

رأيا واحدا لكان الناس في ضيق" (12)

2- نسبة مقولة (تتغير الأحكام بتغير الزمان ) إلى الرسول -ص- وهي مقولة للإمام مالك " يجد

الناس من الأفضية بمقدار ما يحدثون من أحداث" و ثمة فرق كبير بين المعنيين، إذ أن مبادئ

الإسلام يجب أن حاکمة للزمان وليست محكومة بالزمان، وقد قال المستشرقون هذه المقولة في

معرض الاستدلال على زعمهم بأن الشريعة الإسلامية لا يمكن أن توصف بالثبات والاستمرارية.

(13) ومعنى هذا أنهم يريدون حصرها في عصر النبوة وعصور الاجتهاد الأولى، وأنها إنما شرعت

لفترة زمنية معينة فلا يجب الاستمساك بها وتطبيقها في العصور الحديثة

### افتراض الأدلة:

تقتضي مناهج البحث الصحيح أن يستقي الدليل من مادة تتصف بالتحقيق والثبات، والباحث إذا افتقد

كل مقدرات إنشاء الدليل بات ذلك دليلا قاطعا على عدم إصابته في تحديد مفاهيم القضية مثار البحث على نحو

موضوعي

ولو فحصنا المنهج الاستدلالي لدى المستشرقين ووجهنا إليه منظورنا النقدي لوجدناه اعتمد في كثير من

مواطن البحث فقد افترضوا الأدلة عندما يستعص عليهم إنشاؤها على وجه يؤيد رؤاهم وتصوراتهم للقضية مثار



## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

البحث، وتتعدى مشكلات هذا المنهج العلمي في الاستدلال إلى آفاق أخرى لا تقل خطورة عن خطورة الافتراض وينحصر في هذه الآفاق.

1- التشكيك والنفي: وقد اعتمد المستشرقون في تناولهم الدراسات الإسلامية هذه الكييزة التي بلغت من الذبوع أن صارت قاسما مشتركا بين كثير من المستشرقين، فقد أطلقوا العنان لشوكهم فجاءت معظم دراساتهم مليئة بالتصورات الفجة عن الإسلام، وكأها جاءت لتعلن ضرورة إعادة النظر في الدين الإسلامي.

وهذه الدراسات أثرت كثيرا في العقلية الغربية وأصبحت المصدر الموثوق به لدى الكثير من المفكرين والساسة والاقتصاديين والاجتماعيين الغربيين.

فقد تعمد المستشرقون طرح فرضيات ليس لها سند من الواقع والتاريخ كما تعمدوا نفي العديد من الروايات الصحيحة والتشبث بالروايات الضعيفة والشاذة كمصدر للدليل

وقد غالوا كثيرا في كتابتهم السيرة النبوية وأجهدوا أنفسهم في إثارة الشكوك في وقائعها، فقد شككوا حتى في اسم الرسول -ص- فهذا سبرنكر يذكر أن اسم النبي -ص- ورد ذكره في أربع سور من القرآن الكريم هي سورة آل عمران، والأحزاب، ومحمد، والفتح، وكلها سور مدنية، ومن ثم فإن اللفظة (محمد) لم تكن اسم علم الرسول -ص- قبل الهجرة وإنما اتخذته بتأثير قراءته للإنجيل واتصاله بالنصارى<sup>(14)</sup>

وقد يتوجب أن نسأل سبرنكر هنا إذا كان النبي -ص- قد التقط اسم محمد من الإنجيل فأين ذهب إذا محمد الحقيقي الذي بشر به الكتاب المقدس.

ويمكن القول أنهم مهما قالوا في نسبة التاريخ في سيرته، فإنه سيرته هي أوضح وأكبر سيرة نعرفها بين الأنبياء والرسل.

وقد افترضوا أن الرسول -ص- تلقى تعاليم الإسلام من ورقة بن نوفل ونفوا اعتمادا على الشك إلهية النص القرآني.

إن هذه الدراسات أصبحت ماثرا للشك في مصداقية الفكر الإستشراقي ونضوج العقلية الإستشراقية، إذ أن النضوج العقلي لا يقاس بالكم بل بمصداقية ما تقدمه الدراسات الموضوعية من نتائج صادقة.

## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

وقد صارت هذه الدراسات محل انتقاد حتى من الغربيين أنفسهم، فهذا **درمنغهم** يقول في هذا الخصوص: " من المؤسف حقا أن غالى بعض هؤلاء المتخصصين من أمثال (موير) و(جولدتسيهر) و (غودمزوا) و غيرهم في النقد أحيانا فلم تزل كتبهم عامل هدم على الخصوص، ولا تزال النتائج التي انتهى إليها المستشرقون سلبية ناقصة. ولن تقوم سيرة على النفي . ومن دواعي الأسف أن كان الأب لامنس -الذي يعد من أفضل المستشرقين المعاصرين - من أشدهم تعصبا وانه شوه كتبه الرائعة الدقيقة وأفسدها بكرهه للإسلام وني الإسلام، فعند هذا العالم اليسوعي أن الحديث إذا وافق القرآن كان منقولا عنه، فلا أدري كيف يمكن تأليف التاريخ إذا اقتضى تطابق الدليلين تهماهما بحكم الضرورة بدلا من أن يؤيد أحدهما الآخر. " (15)

أما خطورة هذا المنهج فتكمن في اعتبارهم القرآن الكريم كتاب تاريخ، ويسقطون كل ما لم يأت في القرآن الكريم من سيرة الرسول-ص- ويبدو واضحا أن الهدف من هذا الزعم هو تجريد القرآن الكريم من السمة الدينية الروحية وإغضاء الطرف عما جاء به من أصول عقدية وتشريعية.

وكغيره من المستشرقين الذين اعتمدوا على التشكيك والنفي في دائرة الاستدلال اعتمد جولدزير في كتابته عن الحديث النبوي على التشكيك في أحاديث ثابتة في الصحاح كحديث " إنما الأعمال بالنيات... " وقال عنه: " وهو حديث متأخر ظهر كصدى لاقتناع المسلمين بذلك وعلاقة على قيمة أعمالهم الدينية" (16)

وهذا مترتب على النتيجة التي قدمها من قبل مقتضاها كما يقول: " لا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعية للأجيال متأخرة وحدها، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم، وهذه إما قالها الرسول أو هي من عمل رجال الإسلام القدامى" (17) ونلاحظ ما يلي:

✓ تعليقه على حديث **إنما الأعمال بالنيات** حديث متأخر، ومعناه أنه حديث موضوع ومنسوب على الرسول -ص- بدليل نهاية قوله هذا، مع أنه كما قال عنه الترمذي حديث حسن صحيح، فضلا عن انه ورد في الصحيحين

✓ انه لا يقصر الوضع على الأحاديث الموضوعية فحسب بل يريد توسيع دائرة الوضع لتشمل الأحاديث الصحيحة، ويهدف من وراء ذلك على التشكيك ليس فقط في الأحاديث بعينها وإنما يأخذ ذلك تكأة له في التشكيك في السنة كلها كمصدر للشريعة.

## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

2- الافتراض في الاستدلال: أما الافتراض في عملية الاستدلال في الدراسات الاستشراقية فيتمثل في قول

المستشرق رودلف: "إننا لمضطرون أن نفترض أن اليهودية والمسيحية قد عرفتا السبيل إلى مكة التي يعيننا أمها كثيرا لأنها موطن محمد وإن لم يكن ثم ما يثبت انه كان بها يهدم أو مسيحيون في عهد محمد ومن العسير أن نظن انه بها الكثير منهم وإلا لاحتفظت لنا السير بأبناء أكثر إسهابا مما تناهى إلينا" (18)

ويقول في موضع آخر: "ليس هناك علم يقيني بأنه كان هناك يهود أو نصارى بمكة، وما نقل عن الديانتين قد يكون بواسطة التجار، ومن هم هؤلاء التجار؟ وما مدى ما نقلوا؟ ومن الذين قابلهم محمد؟ فإذا افترضنا أنه كان هناك كتابيون، فمتى قابلهم محمد؟ وما مبلغ علمهم؟ وما مقدار ثقافتهم؟ كل ذلك مما لا يقين فيه وإنما هو مجرد افتراض وهو لا يكفي أن يقوم عليه أمر علمي" (19)

إذا تأمرنا هذين النصين لرودلف نتبين منها ما يلي:

- انه اضطر إلى افتراض وجود نصارى في مكة كدليل على إثبات تأثير محمد باليهودية والنصرانية في زعمهم.
  - أن الافتراض ناشئ عن إفلاس في إنشاء الدليل الصحيح الذي يؤيدهم في دعواهم وإلا لما لجأوا إليه.
  - أو أنهم لجأوا إليه بعد إقصاء الأدلة الصحيحة من مادة الاستدلال في ميدان البحث
  - اعتراف واضح أنه لم يكن هناك دليل صحيح ولا علم يقيني على صدق الافتراض .
  - افتراض أن يكون هؤلاء النازحين على مكة من التجار، ولكنه لم يبين مع هذا على وجه القطع أو بالتحديد من قابل منهم. وما مبلغ علمهم ولا مقدار ثقافتهم!!.
  - اعترافه بعدم كفاية هذا المنهج الاستدلالي القائم على الافتراض لأن يقوم عليه حكم علمي!! (20)
- وهكذا يتضح أن الاضطراب لم يكن لينفك عن دائرة الافتراض، وأن المستشرقين أنفسهم يتشككون في جدوى هذا الافتراض وما يمكن ان يترتب عليهم من نتائج، وما يتمخض عنه من أحكام.
- ونحن لا نعتمد دليلا يتشكك منشؤه في كفايته وصدقه وإفادته العلم على وجه اليقين ولا يحتمل إلا الظن والحدس، ويكفي أن نقابل الافتراض بافتراض مماثلا لأنه إن صح الافتراض منهجا في الاستدلال فلنتعامل مع هذا الدليل بافتراض خطئه وافتراض بطلانه.

## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

ويبدو مما سبق خطأ الافتراض والتشكيك والنفي في دائرة الاستدلال، لأنه لا ينبغي عليه حكم علمي صحيح على وجه يفيد اليقين والقطع، ويرفع الخلط واللبس وأخفاً في نتائج البحث وخاصة فيما يتعلق بالإسلام من قضايا.

# الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

## المحاضرة الرابعة:

### موقف المستشرقين من الوحي ومن السنة النبوية.

#### 1- موقف المستشرقين من الوحي:

##### التفسيرات الاستشراقية:

- **الصرع:** التصرفات التي تعتري النبي صلى الله عليه وسلم أثناء نزول الوحي ما هي إلا الصرع (جوستاف لوبون) ويرى أن محمد من فصيلة المهوسين علميا « وأولوا الهوس هم الذين أقاموا الأديان وهدموا الدول وأثاروا الجموع وقادوا البشر » (حضارة العرب، ص 141).
- **الخيال الخلاق:** ويتمتع به بعض المهوبين "اللاوعي الجمعي" كالفنانين والشعراء والكتاب (مونتيجودي وات) وقد دافع عن صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم وما أخبر به من مجيء الوحي إليه ورفض كل التفسيرات ووصفه بالصادق الأمين؛ ويرى أن مصدر الأفكار الخلاقة يوجه علماء النفس إلى "اللاشعور" ورجال الدين إلى "الله".
- يرى وات أن محمد كان يميز بين ما يعتقد أنه يصدر من مصدر علوي وبين ما يصدر عن وعيه المعتاد؛ ويعتقد وات أن مصدر الوحي المحمدي هو الخيال الخلاق أو اللاوعي الجمعي، وهو مصدر كل الأديان (إسلام، مسيحية، يهودية)، وقد فسر يونج "اللاوعي الجمعي لوانت" بأنه ما ينشق من اللاوعي إلى الوعي في رؤيا الأفراد.....، واحلام اليقظة والأساطير، فهي تأتي من اللبيدو أو طاقة الحياة، وهو ينبوع المنشط في كل الناس، واللاوعي المشترك هو الجزء المشترك بين الفرد وأفراد جماعته وبينه وبين الجنس البشري كله، وإلى اللاوعي المشترك تعود الكثير من الأساطير والمعتقدات الدينية.
- **الزهد:** ينفي مكسيم رودنسون في كتابه "محمد" (الملحد) كل التفسيرات، ويؤكد على أن محمدا كانت له ميول زهدية أملت ظروف حياته الشخصية عندما كان طفلا ومراهقا ورجلا، وبدا يمارس حياة الزهد وهي إحدى درجات الصوفية منذ زمن مبكر، ومن خلال حياته الزاهدة الراضية للملذات الدنيا، أخذ يتراءى له "الكشف" المصحوب بأصوات مسموعة، ويرى أنه لا يمكن تفسير الوحي بالأمراض النفسية، ولا بتدخل الشيطان والأرواح الشريرة، وهو ما يراه ويسمعه نتيجة وصول محمد صلى الله عليه وسلم إلى إحدى درجات التصوف التي لم تصل إلى الاتحاد بالله<sup>2</sup>.

<sup>2</sup> ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي - الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ط (بنغازي، ليبيا: دار الكتب الوطنية، 2002)، ج 1، ص 296-312.

## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

### 2- موقف المستشرقين من السنة<sup>3</sup>:

ظهرت أولى الدراسات الاستشراقية المفردة حول السنة النبوية، في دائرة معارف عن الشرق للمستشرق هربلو De Herbelot التي نشرت 1738م؛ وقد جاء في هذه الدراسة أن الأحاديث التي في الكتب الستة والموطأ والدرامي والدارقطني والبيهقي والسيوطي مأخوذة بدرجة كبيرة من التلمود؛ وقد ركز هربلو على تكذيب واتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بالزيف والتلفيق؛ وأن الديانة المحمدية على حد تعبيره مستقاة من التلمود، عن طريق اليهود الذين دخلوا الديانة الإسلامية، إضافة إلى تأثيرها بالأديان والحضارات الأخرى ذات صلة بجزيرة العرب<sup>4</sup>؛ ركز هربلو على شبهة كون الزهري أول من جمع الحديث، مما أدى إلى توليد فجوة تاريخية بين المرحلة الشفوية للأحاديث ومرحلة التدوين، مما يشكك في إمكانية الثقة بها.

يرى الرائد الأول في دراسة الحديث ونقده بالاستعانة بمنهج النقد التاريخي إجناس كولد تسيهر Ignaz Goldziher (1850-1921م) أن الأسانيد الحديثية والمتون سارت وفق منحى تطوري في التراث الإسلامي، فوضع الحديث بدأ في الأجيال المبكرة، " وإن كان يثبت وجود مادة أصلية، فهو يعترف بوجود أحاديث مكتوبة في الصحف في أيدي الصحابة، لكنه رغم ذلك يرى أن التدوين للسنة لم يبدأ إلا في القرن الثاني. وأن معظم الأحاديث -في رأي كولد زيهير- وضعتها الفرق السياسية الكلامية والمذهبية في القرنين ولا تمت غالباً إلى القرن الأول بصلة، ويركز على الصراع بين الأمويين الذين يصورهم بصورة الطغاة الجهلة وبين العلماء الأتقياء وأنصار أهل البيت، ويتهم الزهري بوضع حديث (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد). وقد عزا جولد زيهير أصول الإسلام إلى اليهودية والمسيحية، وأكد على تأثير الهلينية في تطور الإسلام، وتأثير القانون الروماني في نمو التشريع الإسلامي<sup>5</sup>.

أصبحت دراسة جولد تسيهر دستوراً للمستشرقين، ولم ينتقد بعض آرائه إلا قلة منهم، أمثال فيوك Fueck (ت 1939م) وهوروفتس Horovitz (ت 1931م)، أما أغلب المستشرقين فقد اكتفوا بتحليل آرائه والتوسع فيها مع إضافة براهين جديدة أو تعميمها على حقول جديدة مثل كيوم Cullaume ونيكلسون Nickolson

<sup>3</sup> المحاضرة ملخصة ومقتبسة في كثير من الفقرات من كتاب: أكرم ضياء العمري: موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية، من ص 70 - ص 75. رابط الكتاب:

file:///C:/Users/le%20grand/Downloads kutub--النبوية--السنة-والسيرة-الاستشراق-من-السنة-والسيرة-النبوية--kutub.pdf.net.pdf

<sup>4</sup> المرجع نفسه.

<sup>5</sup> المرجع نفسه.

## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

وهاملتون جب Gibb وواط Watt وفنسك Vensink (ت 1939م)<sup>6</sup>.

وقد ركز فنسك في كتابه "The Muslim Creed" "العقيدة الإسلامية" على أحاديث العقيدة؛ وأما ركز جوزيف شاخت، فقد أشار إلى تعاسة نظام الإسناد و أن اعتبار الحديث شيئاً كاملاً سنداً ومتناً قد سبب ضرراً كثيراً وفوضى عظيمة، وأن أسانيد عروة مختلفة ألصقتها بها المصنفون المتأخرون، وقد أثبت تدوين الحديث النبوي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بالاعتماد على كتاب تقييد العلم للخطيب. وهذا ما خالفه فيه جولد تسيهر فيما بعد؛ وأما ميور فقد انتقد منهج اعتماد الأسانيد في تصحيح الحديث وهذا لاحتمال الدس في سلسلة الرواة، ورغم أنه مثل شبرنجر أقر بوجود مادة أصلية للحديث النبوي، لكنه أصر على كون نصف أحاديث صحيح البخاري ليست أصلية ولا يمكن الوثوق بها.

ذكر كايثاني (ت 1926م) في حولياته أن الأسانيد أضيفت إلى المتون في زمن متأخر بتأثير خارجي لأن العرب لا يعرفون الإسناد، وانها استعملت ما بين عروة وابن اسحق، وان عروة لم يستعمل الإسناد مطلقاً، وابن اسحق استعملها بصورة غير كاملة؛ أم هوروفتس (1874-1931م) فقد أثبت معرفة عروة الإسناد، وأن الإسناد دخل في الحديث منذ الثلث الاخير من القرن الأول، كما ألمح إلى الإسناد الجمعي عند الزهري حيث يفيد وقوفه على عدة أسانيد للمتن الواحد.

أما هوروفتس فيرى أن العرب أخذوا فكرة الإسناد عن المدارس التلمودية اليهودية، ويوافقه جيوم في تشابه المسلمين واليهود في نسبة شرائعهما إلى نبيهما.

ورد فيوك Fueck (ت 1939م) على جولد تسيهر فبراً المحدثين والفقهاء من تهمة وضع الأحاديث، وكشف عن منهج جولد تسيهر في التعامل مع الإسلام وأنه يستخدم المذهب المادي لنقد التاريخ (Materialistic) ومنهج الشك (Skepticism) فانتهى إلى أن كل أحاديث الأحكام تعتبر زائفة حتى يثبت العكس.

أما مرجليوت المعاصر لجولد تسيهر (1858-1940م) فقد تابع جولد تسيهر بل ذهب إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك أوامر ولا أحكاماً سوى القرآن !!

ويرى جيوم أنه لا يمكن إثبات صحة نسبة الأحاديث في الكتب الستة إلى الصحابة ولكن لعل بعضها لم تسلم نسبته. ويفسر كيوم قول الزهري: "إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث" تفسيراً خاطئاً ليدل على وضعه للأحاديث وهو فهم جولد تسيهر من قبله.

يتشبت نيكلسون بقول أبي عاصم النبيل: " ما رأيت الصالح يكذب في شيء أكثر من الحديث". فذهب إلى

<sup>6</sup> المرجع نفسه.

## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

أن شواهد في دراسات محمدية لكولد تسيهر وأن أتقى العلماء كان يستعمل الغش في الحديث لتأييد أغراض سياسية ومذهبية.

وقد بين الإمام مسلم أن الكذب يجري على لسانهم ولا يتعمدون. وقال يحيى بن سعيد بن القطان: " ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزهد" والكذب هنا على لغة أهل وهو مطلق الخطأ.

يرى كولسون وكيوم أن المحدثين يبحثون في الأسانيد شكليا بدون الاهتمام بنقد المتن.

يقول كولسون: "إذا كانت سلسلة الإسناد متصلة، وكان كل فرد من أفرادها عدلا -من وجهة نظرهم- فحينئذ قبلوا الحديث وصار شرعا واجبا، ولا يمكن بسبب الإيمان السؤال عن متن الحديث لأنه وحي إلهي فلا يقبل أي نقد تاريخي".

ويقول كيوم: "متى اقتنع البخاري بتحديد بحثه في سلسلة الرواة في السند مفضلا ذلك على نقد المتن، صار كل حديث مقبول الشكل حتميا بحكم الطبع".

فماذج من نقد المستشرقين للأحاديث<sup>7</sup>:

- 1- اتهام جولد تسيهر الزهري بوضع حديث "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد..." رغم أن الحديث تعددت طرقه عن غير الزهري.
- 2- استدلال جولد زيهير وكيوم ونيكلسون بحديث "سيكثر الحديث عني فمن حدثكم بحديث فطبّقوه على كتاب الله، فما وافقه فهو مني قلته أم لم أقله".
- 3- زعم نيكلسون أن حديث شق الصدر أسطورة نشأت عن تفسير "ألم نشرح لك صدرك" ولو صح لدل على الصرع.
- 4- زعم مونيجموري وات ان قصة الغرائق صحيحة لأنها في غاية الغرابة فلا بد أن تكون حقيقة في جوهرها، إذ لا يتصور أن يخرعها واحد ثم يقنع جماعة ضخمة بقبولها. والحق أن عدد كبيرا من علماء المسلمين أنكروا مثل ابن خزيمة والبيهقي وعياض وابن العربي والرازي والقرطبي والعيني والآلوسي والشوكاني.
- 5- تكذيب كيب لحديث "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" بحجة أنه وضع للرد على حجة الوضع !! مع أن الحديث متواتر، رواه مائتان من الصحابة وله أكثر من أربعمئة طريق.
- 6- دعوى فنسك أن حديث "بني الإسلام على خمس..." موضوع بعد الالتقاء مع نصارى الشام

<sup>7</sup> المرجع نفسه.



## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

والتأثر بهم، متناسيا أن الشهادتين تردان في الآذان والصلاة !!

7- يشكك موريس بوكاي ببعض الأحاديث في صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق وكتاب الطب لأنها لا توافق العلم الحديث، والأحاديث التي تكلم فيها من المشمل الذي تكلم فيه العلماء القدامى.

### قائمة المصادر والمراجع:

- أبو الحسن علي الحسيني الندوي: الإسلاميات: بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، (ط3)، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، 1986م
- أحمد الشيخ: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، حوار الاستشراق، (ط1)، لأكز العربي للدراسات الغربية، 1999م
- أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، (القاهرة: دار المعارف، 2001م).
- إدوارد سعيد: الإستشراق - المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة: كمال أبوديب، (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1981م).
- اجنس جولد تسيهر: المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن، ترجمة: علي حسن عبد القادر، (بيروت: المركز الأكاديمي للأبحاث، 2013).
- برنارد لويس: مسألة الاستشراق، مقالة ضمن: الاستشراق بين دعائه ومعارضيه، ترجمة: هشام صالح، ط1، (بيروت: دار الساقى 1993م)
- ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي - الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ط (بنغازي، ليبيا: دار الكتب الوطنية، 2002)، ج1
- سالم حميش: الاستشراق في أفق انسداده، سلسلة الدراسات 3، (المجلس القومي للثقافة العربية، 1991).
- سالم يفوت: حفریات الاستشراق - في نقد العقل الاستشراقي -، (ط1)، لأكز الثقافي العربي: بيروت - لبنان؛ الدار البيضاء - المملكة المغربية، 1989م
- عبد الله يوسف سهر محمّد: مؤسّسات الاستشراق والسياسة الغربية اتُّجاه العرب والمسلمين، (ط1)، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية: أبو ظبي - الإمارات العربية المتّحدة، 2001م
- علي بن إبراهيم النملة: مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين - استقراء للمواقف -، مكتبة الملك فهد الوطنيّة: الرياض - المملكة العربيّة السعوديّة، 1994م
- عبد اللطيف الطيّايوي: المستشرقون الناطقون بالإنجليزية - دراسة نقدية -، ترجمة قاسم السامرائي، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمّد بن سعود: الرياض - المملكة العربية السعوديّة، 1991م

## الدكتورة آسيا شكيرب: مقياس الاستشراق

- عدنان محمد وزان: الاستشراق والمستشرقون - وجهة نظر-، سلسلة دعوة الحق، عدد 42، (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، 1984م).
- عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف بحث في نقد المركزية الثقافية، ط1، (بيروت: دار الفارس، 2004).
- مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين، وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، (ط1)، دار الإرشاد: بيروت- لبنان، 1969م.
- حولية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، دورية سنوية محكمة، العدد10؛ العدد 13، جامعة الأزهر.
- Guy Langué : **L'occidentalisme et la critique du nous**, Université de Montréal, <http://mapageweb.umontreal.ca/lanoueg/LANOUE/lecons/occidentalisme.pdf>
- Nassib Samir El-Husseini : L' Occident Imaginaire: La Vision de L'Autre Dans la Conscience Politique Arabe, ( Quebec : Presses de l'université du Quebec, 1998 )